الحياة الاقتصادية في إنجلترا الأنجلو- سكسونية

أ.د. أسامة إبراهيم حسيب ابراهيم (*)

أن التاريخ الاقتصادي يعني باختصار توضيح التقدم المادي بشكل أساسي[١]، والتنظيمات الاقتصادية وتطورها في التاريخ الإنجليزي وهي التي يقوم بها الأفراد في الدولة ، وان كان التاريخ الاقتصادي نافع ومفيد لكل شعب ، وذلك للحصول علي مورد للرزق ، والارتقاء بالمجتمع لأفضل معيشة ممكنة ، وأن كان هذا النشاط والفاعلية بدأ ببداية التاريخ ، ولم يكن التدخل بشكل فردي ومستقل ، ولكن كان العمل الاقتصادي عملا جماعيا[٢] .

والحياة الاقتصادية في إنجلترا كغيرها من الدول الأخرى مقسمة إلي ثلاثة أقسام وهي الزراعة والصناعة والتجارة[٣] .

أولا: الزراعة :

لقد كانت الأرض المصدر الأساسي للثروة في الإمبراطورية الرومانية ، ومن ثم ظلت كذلك في عهد إنجلترا الأنجلو- سكسونية ، وجرمانيا والبلاد المجاورة لهما ، وكانت في الغالب تعتمد علي الزراعة في تدبير أمورها الحياتية[٤] .

وكانت أراضي إنجلترا مقسمة إلي ثلاثة أقسام في الشمال والوسط والجنوب ، وأخصبها علي الإطلاق في الجنوب والوسط ، أما الشمال فلم يكن يصلح للزراعة[٥] ، وقاموا بتقسيم الأراضي الصالحة للزراعة بين الأسر الأنجلو- سكسونية من الملاك الأحرار، سواء أن كان من صغار الفلاحين أو كبار الملاك ، أما الأراضي البور والغابات فكانت مشاع بينهم تترك بدون تقسيم لكي يستخدمهم الجميع[٦]، أما داخل القرية فقد قسم الإنجليز الأراضي الزراعية إلي قسمين

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب – جامعة سوهاج.

1 - Arthur B M A., An Economic History of the British Isles , London , 1935 , p.1.

2 - William Ashaly , the Economic organization of England , London , 1933, p.1.

3 - Lipson E., the Economic History of England the Middle Ages , vole .1, London , 1937, p.1.

4 - Arthur , op. cit., p.50 ; Esme, op .cit., p.128 ; Mowat , A New History of Great Britain , London , 1926,p.53.

5 - Lipson , op. cit., .p.1 ; William Ashlay , op. cit., p.8.

6 - Painter S A., History of Middle Ages 284-1500, New York, 1954 , p.24 .

وخاصة الصالحة للزراعة ، قسم يزرع كل عام والأخر يترك بدون زراعة ، وكل سنة يترك قسم مختلف بدون زراعة ، ويقصد من ذلك استعادة خصوبة الأرض[١].
وعلي الرغم من خصوبة أراضيهم ومساحتها الشاسعة الصالحة للزراعة بأقل جهد وأقل نفقة ، فقد فشلوا في أن يستغلوها استغلالاً كاملاً رغم خصوبتها ، ولم يكن لهم خبرة في زراعة بساتين الفاكهة وأنواعها المتعددة ، ولكن زرعوا زراعات قليلة مثل الحنطة والشعير والذرة والبيقة (علف المواشي) ، وعرفوا عن طريق احتلال الرومان لأراضيهم فصول السنة الزراعية وهي الشتاء والصيف والربيع , وأخذوا أنواع الزراعات في هذه الفصول عن الرومان[٢] .

والفلاحين الذين قاموا بالزراعة عاشوا في جماعات مبعثره هنا وهناك ، يفصلها عن البعض أميال قليلة أو غابات كثيفة ، وفي الأرض زراعة الحصص المبعثرة حسب نظام الحقول الثلاثة القائل بتقسيم الأرض الزراعية إلي ثلاثة أقسام أو غيطان ، يزرع منها اثنان في الزراعة الواحدة ، ويترك الثالث بورا غير مزروع وتدور كل منها هذه الدورة [٣] .

وكانت الزراعة بصفة عامة سواء في أرض السيد أم في باقي الإقطاعية تتم أحيانا طبقا لنظام الحقلين ، حيث تنقسم الحقول الزراعية في البلاد إلي نصفين يترك أحد النصفين بور ويزرع النصف الآخر ، وفي العام التالي تزرع الأرض البور ، والأرض المنزرعة تترك بورا وهكذا يعني ذلك أن الأرض الصالحة للزراعة في جملتها تقسم إلي حقلين أو ثلاثة ، وكانت الدورة الزراعية الوحيدة عبارة عن مجرد الانتقال من دورة الحبوب إلي ترك الأرض بوراً لإراحتها من سنة إلي أخري إلي التعاقب ، فقد كانت الدورة ثلاثية . ففي السنة الأولي كان يبذر القمح ويليه الشعير في السنة الثانية ، وفي السنة الثالثة يترك الحقل بورا لإراحته[٤].

---

1 - Tacitus , The Agricola and the Germania , p.123 .

2 - Tacitus , op. cit., p. 123.

٣ - نظير حسان سعداوي : تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور الوسطي والقديمة ،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨، صـ٣٥.

- Tacitus , op. cit., p.123.

٤ - ج.ج كولتون : عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف, الإسكندرية، ١٩٦٤، صـ٤٦-٤٧.

وهذا الجدول يوضح الدورات الزراعية في إنجلترا الأنجلو- سكسونية :

م	عدد الدورات	الحقل الأول	الحقل الثاني	الحقل الثالث
١	الدورة الأولي	قمح	أرض متروكة	شعير
٢	الدورة الثانية	شعير	قمح	ارض متروكة
٣	الدورة الثالثة	أرض متروكة [١]	شعير	قمح

ونظام الحقلين كان متبع في منطقة الأراضي الوسطي والجنوبية عند خط ويتلنج – Watling- أما نظام الحقول الثلاثة فكان متبع في شمال إنجلترا[٢] .

ونظرا لأن الأراضي الزراعية في إنجلترا عبارة عن شرائح رفيعة وطويلة ، فكان علي الفلاحين أن يتعاونوا معا عن طريق ضم الأراضي بعضها إلي بعض ، وكانوا يستخدمون محراث واحد وثيران واحدة في العمل ، وبعد حرثها يتركون ثلثها بورا ويزرعون الثلثين الباقيين معا ، ويقومون بعد ذلك بتقسيم الأرض ووضع الحدود كما كانت، ثم يقومون ببزر الحبوب في الأرض معا ويعملون بها سويا حتي الحصاد[٣] .

وهذا يفسر علة استعداد الإنجليز للزراعة فتربتهم في الأصل ريفية لكثرة ما يوجد في مساكنهم من الحدائق ، وعودتهم نشأتهم الاستقلالية وحب الشغف بمعرفة الأشياء التي تقع تحت نظرهم أكثر من حبهم في معرفة الناس ، فضلا عن رغبتهم في تحصيل رزقهم بأنفسهم [٤] .

وأننا بأقل مجهود ندرك دورة النظام الزراعي القديم ونعرف المحاصيل الزراعية ، التي كان يزرعها الملاك في أراضيهم ، وأدوارهم في تحسين الأدوات الزراعية ، وذلك مع تقديرنا لكفاءتهم المحتملة فإن الأرض الزراعية الرئيسة التي كانت تحت أمر الكنيسة والنبلاء لا تورد أكثر من عائد طفيف ، وسوف يكون من المهم رغم أنه من المستحيل أن نكشف قدر المال الذي أدخره الفلاحون من عملهم في هذه الإقطاعيات التي لا يزرعها مستأجروها من أجل الربح ، وبعد العمل العام كامل لمدة من يوم إلي ثلاثة أيام في الأسبوع علي عقار السيد وبعد دفع الضرائب

---

[١] - الأرض المتروكة هي الأرض التي تحرث ثم تترك موسما كاملا بدون زراعة لراحتها ، لكي تزرع في العالم التالي وهكذا ، وأحيانا كانت تروي الأرض , ثم تترك حتي تجف ثم تحرث للتخلص من الحشائش ثم تترك موسما كاملا . انظر في ذلك :

- Arthur, op. cit., p.48 ; Ellis & Fisher, History of England Life, London, 1973, vol.1, p.65 .

[2] - Arthur , op. cit., p.148 ; Mowat, op. cit., p.52.

[3] - Mowat , op. cit., p.52 ; Coulton M A., Medieval Panrma the English from Conquest to Reformation , vol.1, Press , 1949, p.282.

[4] - Arthur, op. cit., p.148 ; Mowat , op. cit., pp.52-53.

الاعتيادية بشكل أرهق أراضيهم , لابد وأن يكون هذا المال قليلا إذا كان هناك مال أصلا[١] .

وكان هذا المال القليل يكفي الطبقتين الآخرين ، حيث كان المجتمع الأنجلو-سكسوني مقسم كغيره من المجتمعات الجرمانية المعاصرة إلي ثلاث طبقات وهم : المحاربون الذين يدافعون عن البلاد ورجال الدين الذين يحاربون من أجل إرضاء الرب ، والطبقة الأخيرة وهم الفلاحون الذين يعملون من أجل إطعام المحاربين ورجال الدين ، وأن كانت طبقتهم في الدرك الاجتماعي الأسفل في المجتمع الإنجليزي[٢] .

ولم تكن أراضي الأفراد من الفلاحين قطعة واحدة بل حصصا مبعثرة بين أمثالها من الحصص المملوكة لغيره من الأفراد ، ومساحة كل حصة منها فدان أو نصف فدان أو قريب من ذلك , والراجح أن منشأ ذلك التوزيع الرغبة قديما في المساواة بين جميع الفلاحين بقدر الإمكان ، بحيث ينال كل فرد جزءا من الأرض القوية وجزاءَ من الأرض الضعيفة ويشاهد الزائر اليوم بقايا الحقول الثلاثة والأرض المكشوفة –Open Field- كما يسمها في لاكستون –Laxton- بإنجلترا خالية من السياج [٣] .

وفي إنجلترا الأنجلو- سكسونية كانوا يمدون السياج حول الحقول خوفا من الحيوانات التي كان يعتمدون عليها بشكل أساسي ، ومن أمثلة هذه الحيوانات الثيران ، والتي كانت تقوم بمجهود كبير للفلاح في حرث الأرض بالإضافة إلي الأغنام والخنازير ، والتي كانت تعتبر غذاء هاما للسكان ، وكانوا يعتمدون بشكل كبير علي الخيول وعندما يموت الحصان أو يمرض كان نشاط الرجل الإنجليزي يتوقف ، وكانت حيوانات الفلاح من ثور وخنزير وماشية يتبعون الفلاح في الحقول حيث المروج الخضراء والمراعي ، وكان يحصل منهم علي الغذاء ، حيث كانت الخنازير والأبقار والماشية هي مصدر اللحوم ، والماشية يأخذ منها منتجات الألبان وكذلك الأصواف ، أما لحم الخنزير فهو غذاء السادة من الطبقة الأولي في إنجلترا الأنجلو-سكسونية[٤] .

وإنجلترا الأنجلو- سكسونية عرفت هذا السياج في العصور الباكرة عن طريق النسخة المعتمدة للعهد القديم ، عندما خرج أسحق مساءا إلي الحقول ، وكان لكل كوخ عادة مزرعته الصغيرة المسورة وحديقته. كذلك كانت أجمل أراضي

---

[١] - هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي، الحياة الاقتصادية الاجتماعية ، صـ٦٨-٦٩.

[2] - Lipson , op. cit., p 22.

[٣] - نظير حسان سعداوي: المرجع السابق ، صـ٣٥.

- Cater , History of Britain, 1934 , p. 34.

[٤] - أسامه إبراهيم حسيب : إنجلترا تحت حكم النورمان ، صـ١٩٠.

- Arthur , op. cit., p. 50 .

المروج مسورة ليتسنى الاحتفاظ بها للدريس ، ولكن الأرض الصالحة للزراعة كانت علي امتدادها الشاسع تفصل قطعها الواحدة عن الأخرى عروق من الخشب أو سياج رفيع من الحشائش ، كما تشبه في تكوينها الطبيعي في كنت ووسسكس – Sussex- إلي جانب الأراضي الصالحة للزراعة والمروج المسورة لحفظ الدريس، كان هناك دائما كثير من المراعي غير المنظمة والأراضي المشاع التي كان للفلاحين عليها حقوق الرعي والكلأ ، وكذلك بعض الغابات التي كان من حق القرية استخدام الحطب الموجود بها للوقود لإقامة السياج دفاعا عن القرية نفسها ، وكانت الأخشاب تستخدم أحيانا في البناء[١] .

ولقد بدا أن طرق الزراعة ظلت ثابتة ، وأن استخدام السماد كان غير معروف ، وظل الناس في كل مكان يلتزمون تماما بنظام المناوبة في الزراعة التقليدية . ومع أن كثير من عبودية الأرض قد استحدثت فإن المزارع ظل تابعا للتنظيم الكنسي وللعشور وللنبلاء وخضع الفلاح للتعسف والقهر والذل ، ولم تستطيع الحكومة حمايته وكل ما يوضع في الاعتبار هو أن جمهور الريف الذي يمثل الأغلبية في الناحية السكانية ، قد لعب دوراً سلبيا خالصا في هذا الخصوص ، ولم يعد للفلاحين المقهورين مكان للتسلسل الاجتماعي الطبقي[٢] .

وكانت أعمال الفلاحة والزراعة توكل إلى صغار الفلاحين والرقيق والأولاد، وأن كان في إنجلترا الأنجلو- سكسونية يحصلون علي الرقيق من أسري الحرب ، وخاصة الحروب المستمرة بينهم وبين القبائل الأخرى[٣] .

وأن كان هناك عدد كبير من الفلاحين يعيشون حاله انتقالية بين الحرية والرق ، وهي التي عرفته باسم القنية – Sorfdom – فالقن علي وجه العموم فلاح قراري يعيش علي قطعة من الأرض يمنحها إياه سيده ممتلك الدومين وهو مربوط إلي هذه القطعة من الأرض ، فلا يملك الحرية في الانتقال عنها وليس له أن يؤدي واجبات تبعية بالخدمة في أرض هذا المتبوع وتقدم جزء من غلته له ، بالإضافة إلي أنه ظل يباع ويشتري ويبدل بغيره حسبما يشاء ممتلك الدومين ، ولم يسمح السيد للقن أن يترك أرضه كذلك ولم يرغب القن في تركها لأنها المورد الوحيد لمعيشته [٤] .

---

[١] - ج.ج. كولتون : عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، صـ٤٨-٤٩.

[٢] - هنري بيرين: المرجع السابق ، صـ٨٦.

- Mitchell , op. cit., pp.84-85.

[3] - Tacitus , The Agricola and the Germania, pp.115-116.

[٤] - و. كوبلاند . ب- فينو جرادوف: المرجع السابق ، صـ٢٤.

- Cross , A history of England and Greater Britain, New york, 1921, op. cit., p. 84 ; White Lock, The Beginning of England Society ,Penguin Books, 1920 , op. cit., p. 32 ; Bland & Tawney , op. cit., p.5.

ويذكر – بيرين- أن حقوق السيد تقيد نشاط القن ، ولا يستطيع الأقنان المزعومون إلي حد بعيد الزواج من دون دفع ضريبة ، وليس للعبد أن يتزوج من امرأة خارج ممتلكات سيده دون إذنه وعند موت العبد يتسلم السيد كل ميراثه ويئول إليه – Corimedisheroil – ولقد أثقل عناء الخدمة والأعباء كاهل المستأجرين أو بمعني أصح كل الإجراءات . وقد تحولت هذه الأعباء من تكاليف استثنائية إلي تكاليف حقيقية ، وفي هذه العلاقة يصبح هناك فصائل مختلفة واضحة بصدد الإجراء – Mansi- فبعضهم كان من الأحرار – Ingeuniles- وبعضهم من الأذلاء – Serviles- والبعض الأخر كان بلا فراش أو غطاء –Lidiles- واختلفت التزاماتهم تبعا إذا ما كانوا أصلا قد وقعوا في العبودية بواسطة "رهن الأبدان " عبودية كاملة أو نصف عبودية أو كانوا أحرارا أو كانت الضريبة التي يحتاجها السيد من رجاله وقت الحاجة [١] .

ومع تطور الحقبة الزمنية تطورت الزراعة في أوربا خلال العصور الوسطي , فازداد الإنتاج الزراعي ازديادا ملموسا ، كما حلت العلاقات الإقطاعية مكان العلاقات العبودية ، التي كانت سائدة في العصور القديمة وهذا الانقلاب الاقتصادي والاجتماعي أفضي إلي زيادة الإنتاج الزراعي ، فالفلاح يستثمر أرض السيد الإقطاعي مقابل حصوله علي حصة من إنتاجها ، صار يضاعف جهده من أجل زيادة الإنتاج ، إذ كلما ازداد الإنتاج ازدادت معه حصته الخاصة[٢] .

أما العبد الذي يشتغل في أرض المالك الكبير في العصور القديمة مقابل حصوله علي قوت يومي ضئيل ، فلم تكن له مصلحه شخصية في زيادة الإنتاج ، لذا كان يهمل عمله عندما تبعد عنه أعين المراقبين ، بالإضافة إلي تبدل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . فقد ازدادت مساحة الأراضي الزراعية في أوربا نتيجة استصلاح الغابات والمروج والأراضي البور من جهة وتطور الأدوات الزراعية من جهة أخرى[٣] .

وكان الفلاحون قاعدة الدولة التي عليها تقوم . ومن ثم فقد وجب قهرهم ووجبت مع ذلك حمايتهم . ولم يعد معظم الفلاحين الصغار – Coloni- من الملاك، إذ أنهم أصبحوا بحكم العقود أو التشريعات من ناحية . ولكن بالأكثر بحكم الحاجة الاقتصادية من ناحية أخري تفوق الأولي ومستأجرين في مزارع كبار الملاك , وقد انتقصت آنذاك حريتهم الشخصية فربطوا هم وأبناؤهم بالأرض ، وان فكروا في الفرار والإباق (الهرب) وضعوا في الأغلال. , ولكن سادتهم – Patrohus- ينبغي ألا يسرفوا في تجريدهم من غلة الأرض دون ترك فائض لهم بما يفرضونه عليهم من إيجار فاحش ، ولا يجوز لهم أن ينقلوا الفلاح الصغير إلى

[١] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٦٩-٧٠ .

[2] - Esme , op. cit., p. 125.

[3] - Lipson , op. cit., p.19 ; Arthur , op. cit., p. 47.

مكان أخر إذا باع السيد الأرض التي يعمل عليها الفلاح . ثم صار الملاك أخر الأمر مسئولين عن جميع الضرائب التي يدفعها مستأجروهم ، وبذلك تم إخضاع صغار الفلاحين ، فإنهم أصبحوا يؤلفون طبقة من أشباه الأحرار تقع في منتصف الطريق بين المواطنين الأحرار والأرقاء [١] .

وكانت الزراعة قد انتكست في إنجلترا الأنجلو- سكسونية خاصة و أوربا عامة في القرن السابع الميلادي ، ولم تعد كبلاد زراعية محضة ، ولقد كانت أرضها هي المصدر الوحيد للقوت والأصل الأوحد للغني والثروة . ولقد عاشت جميع الطبقات من سكان الإمبراطورية ، والذين لم يكن لهم أي إيراد غير ما تدره الأرض عليهم عيشة الأقنان المتواضعة ، بطريق مباشر أو طريق غير مباشر علي ما تنتجه الأرض من زرع سواء كان من نتاج عملهم أو نتاج المكوس المفروضة عليها ، ولم تعد ملكية الأرض آنذاك استخداما اقتصاديا ، وقد كانت الحياة الاجتماعية في الإمبراطورية قائمة علي امتلاك الأرض ، وكان من المستحيل علي الدولة أن تحافظ علي نظامها العسكري والإداري إلا بالاعتماد عليها ، وكانت الدولة لا تستطيع أن تجند إلا الحائزين علي الإقطاعيات والموظفين الذين كانوا من كبار الملاك ، في هذه الظروف أصبح من المستحيل حماية سيادة رأس الدولة ، وإذا ما وجدت رسميا إلا أنها اختفت عمليا . والنظام الإقطاعي يمثل ببساطة انحلال السلطة العامة علي أيدي ولاتها ، الذين بسبب اعتقاد كل منهم انه باستحواذه علي حصة من الأرض ، أصبح مستقلا واعتبر السلطان الذي أحرزه كجزء من أرثه وفي الحقيقة , فإن ظهور النظام الإقطاعي في غرب أوربا خلال ذلك القرن ، لم يكن سوي انعكاس في المجال السياسي لعودة المجتمع لحكم حضاري محض[٢] .

وكان الفلاح مشدودا إلي الأرض بصورة لا فكاك له منها . وكان يتناول أنصبته الخاصة قمحا أو شعيرا أو أرضا غير مزروعة في دورة الراحة ، شأنه في ذلك شأن غيره ممن يعملون في الحقل وبعد الحصاد يترك الحقل بما عليه من مخلفات القش وسنابل القمح والحبوب التي تتساقط من عمال الحصاد ، غذاء لدجاج القرية وبطها وأوزها ، حيث تلتقط هذه الدواجن غذائها من المخلفات ، لتصبح في أوج سمنتها ولذيذ مذاقها حوالي عيد القديس مخائيل [٣] .

أما عن حياة السادة الإقطاعيين فكانت أفضل بمراحل من الأقنان ، حيث كان للسيد مزرعته الخاصة التي يعيش من ريعها في داخل قصره ، ويحتمل ان هذه المزرعة كانت في العهود الباكرة تحرث برمتها بطريق "السخرة " بيد أن نظام العمل مقابل أجر نقدي كان قد أخذ أيضا بطريقة تدريجية ، ونقول "السخرة " لأن

---

[١] - هـ. سانت موس : ميلاد العصور الوسطي ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨، صـ٥٤-٥٥.

[٢] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ١٤-١٥.

[٣] - يقع عيد القدس ميخائيل عند الغربيين في ٢٩ سبتمبر من كل عام . انظر في ذلك : ج. ج. كولتون :المرجع السابق ، صـ٤٨ .

القن لم يكن يملك سوي ما يلتقطه من الأرض بكده وعرق جبينه ، ولقد عدد لنا أحد كتاب العصور الوسطي مختلف الأسباب التي آلت بالرجال إلى الرق ومنها :

١- من الجائز أن يكونوا قد طلبوا إلى الخدمة في الحرب فرفضوا ، وعوقبوا بإنزالهم إلي مرتبة القنية .
٢- ربما يكونوا قد وهبوا أنفسهم إلي الكنيسة .
٣- بيع أنفسهم كما يحدث إذا افتقر رجل فذهب إلي أحد السادة اللوردات وقال له : " أعطني مقدار كذا فأصبح رجلك وأكون رهينة لك "
٤- للدفاع عن أنفسهم ضد طاغية أو عدو محلي بتسليم أنفسهم إلي رجل أقوى ويجب علينا أن نتذكر دائما جانبي حياة رقيق الأرض، فالسيد الإقطاعي كان بالنسبة له، كما تعتبر الطبيعة بالنسبة لنا ، أي أنه صديق أو عدو له طبقا للزاوية التي ننظر فيها ، ولكن ضرورة علي أية حال ثم أن القن كان مرتبطا بالأرض ارتباطا وثيقا علي انه في إنجلترا الأنجلو- سكسونية علي أية حال لم تكن لديه وسيلة لتغير سادته إلا عن طريق اقتراف جريمة ما ، أو المخاطرة بالهرب من سيده ، أو عن الطريق الأكثر صعوبة ألا وهو تكديس المال وشراء حريته به . هذا إذا ابتسم الحظ له فقبل السيد أن يبيعه حريته ونقول أن القن كان مرتبطا بالأرض وكانت الأرض أيضا مرتبطة به ، ولم يكن باستطاعة السيد تجريده منها إلا في حالة رفضه أداء واجباته القانونية أو لأي سبب وجيه أخر ، وكانت هذه الواجبات القانونية في الأصل هينه للغاية ، فقد كان الفلاح يحصل علي أرضه بشرط أن يعمل ثلاثة أيام في الأسبوع لحساب سيده وثلاثة أخري لنفسه ، أما الأحد فكان العمل فيه محرما تحريما باتاً [١] .

وعلي الرغم من عنف وقسوة الغزاة السكسون لبريطانيا ألا أن بعض القري بأيدي سكانها البريطانيين ، واكتفي الغزاة باسترقاق أعداد من الأهالي ولاسيما النساء ، فإن هؤلاء الغزاة صرفوا همهم لانتزاع الأراضي والإمعان في القتل والتشريد لسكانها وتحويل هذه القرى البريطانية إلي قري جرمانية[٢]. وكانت الزراعة في إنجلترا الأنجلو- سكسونية هي عصب الحياة في ذلك الوقت ، وليس هناك شك في أن ذلك يرجع في أغلبه لعدم تأثر الإنجليز والسكسون والجوت بالمدنية الرومانية قبل هجرتهم إلي تلك البلاد أو بعدها[٣] ، ولهذا سكنوا القري والكفور دون المدن ، وزرعوا الأرض علي نظام الحصص المبعثرة [٤] .

---

[١] - ج.ج كولتون : المرجع السابق ، صـ٤٢-٤٤.
[٢] - محمد محمد مرسي الشيخ : أوربا العصور الوسطي ، صـ١٢٢.
[3] - Pirenne , Hist. of Europe from The 16 Century, London, 1946, p.141.
[4] - Rainer Concise , Hist. of Britain, London, 1939, p.12.

ونظام الحصص هو النظام الذي انتقلت خصائصه إلي دومين العصر الإقطاعي ، فصارت الأراضي الزراعية تقسم إلى قسمين رئيسين يختص السيد المتملك بإحداهما ، ويوزع ثانيهما من أعمال الحرث والزرع والحصاد وفي الأرض الخاصة به . علي أن ذلك التقسيم لم يكن تقسيما ماديا بحيث توجد حتما كل أرض السيد الإقطاعي المتملك في ناحية واحدة، وأرض الفلاحين في ناحية أخري ، بل يجوز أن تقع أرض السيد المتملك حصصا مبعثره بين حصص الفلاحين الذين هم في الواقع أتباع له ، ومن ثم جاءت الصيغة الغالية في دفاتر العصور الوسطي وسجلاتها كالآتي : " فلان عنده عشرة حصص من الأرض ، وهو يحرث ثلاث حصص" . أي أن فلانا هذا بيده عشر حصص يستغلها لحسابه ، وهو في مقابل ذلك يحرث في ميعاد الحرث ثلاث حصص من أرض السيد المتملك[١] .

أما أهم الخدمات التي يؤدها أرباب الحصص للسيد الإقطاعي فهي ما يسمي بالأسبوعية ، وهي أن يرسل كل حائز علي ثلاثين فدانًا أو خمسة عشر فدانًا فلاحًا واحدًا من عنده ليعمل في مزرعة السيد الإقطاعي مدة يقرب عدد أيامها النصف في كل أسبوع ، وأغلب ما يكون هذا النوع من الخدمة ثلاثة أيام ويقوم الفلاح بأعمال كثيرة للدومين في هذه الأيام الثلاثة . وأول هذه الأعمال أن يحرث أرض السيد ، وأن يحضر بصفته عاملا بل معه محراثه وثيرانه ، ليشترك في العمل المفروض علي القرية كلها ، وكلما تطلب العمل استخدام المحراث الكبير الذي يجره ثمانية ثيران ، وعلي هذا المنوال قام الفلاحون بعملية تزحيف الأرض بزحافاتهم ، أي تسوية الأرض المحروثة المبذورة وتغطية البذور ، كما قاموا بنقل المحاصيل في غاباتهم أو علي ظهور الخيل حسب نسبة معينة إلي المدة الأسبوعية المقررة عليهم . ويلي ذلك من واجبات الفلاحين أنواع لا حصر لها من العمل ، لإقامة الأسوار وحفظها وصيانة السدود والقنوات والخنادق ، ودرس الغلال ورعاية الأغنام وجز أصوافها ، وهكذا جري توزيع هذا العمل اليدوي كله حسبما تواضع عليه العرف من عمل يومي وأسبوعي إضافة إلي ذلك يقوم الفلاحين بأعمال إضافية ، فمثلا لم تكن حراثه ارض السيد مفروضة علي قاعدة أنها عدد معين من أيام الأسبوع فحسب ، بل كذلك علي قاعدة أنها عدد معين من الفدادين التي يجب أن يقوم أهل القرية بحرثها وزرعها للسيد ، بغض النظر عن عدد الأيام التي يستغرقها هذا وذاك ، وعبر المصطلح الإقطاعي الأنجلو- سكسوني عن هذا العمل بلفظ – Gafolearth- أي إيجار مقابل الأرض التي يستغلها الفلاحون لأنفسهم [٢] .

والخلاصة ... أن الأنجلو- سكسون جعلوا الزراعة أساس حياتهم ، ذلك أنهم كانوا شعبا من المزارعين ، وكانوا يؤثرون الحياة في الأراضي الفسيحة يكرهون العيش داخل أسوار المدن . ولذا فعلي أثر وصولهم نجد أن المدن التي أنشأت في

---

[١] - و. كوبلاند- ب. فينو جرادوف : المرجع السابق ، صـ١٢-١٣.

[٢] - جوزيف نسيم يوسف : تاريخ إنجلترا وحضارتها ،الإسكندرية ، ١٩٨٢م ، صـ٩٨-٩٩.

عهد الرومان والتي نزح عنها الأهالي الأصليون فرارا من الأنجلو- سكسون ، قد أهملت إهمالا تاما ، وأصبحت في معظمها خربة ومهجورة . حقيقة أن بعض الأهالي قد استوطنوا في عدد من هذه المدن ، لكن الملاحظ أن عدد سكانها قد أنكمش انكماشا كبيرا ، واختفت كل مظاهر حياة المدينة التي ألفها البريطانيون أيام الرومان ، ولم يستقر الغزاة الجدد حول هذه الطرق بل توقفوا داخل البلاد عن طريق سفنهم في الأنهار المختلفة ، واستقروا في الوديان والكفور .

الصناعة :-

لم تكن هناك صناعة ولا مصانع بمعني الكلمة ، بل أن الدومين والمدينة الحرة كانا يعيشان علي ما تنتجه أرضهما من منتجات يصنع فيها الأدوات والملابس وجميع الاحتياجات اللازمة ، بل أن الأديرة كانت هي الأخرى تكفي نفسها , ويذكر بعض المؤرخين أن أجمل الأنسجة كانت تخرج من أديرة النساء، لذلك يمكن القول أن الريف لم يكن في حاجة إلي صناعة بسبب الاكتفاء الذاتي ، وأن وجد صناعة فلم تكن بمعزل عن الزراعة في الحقبة الأولي من العصور الوسطي . كان كل بلد أو مدينة أو قرية أن تكمل بعضها البعض من أجل تواصل الحياة الاجتماعية مثل المحراث الخشبي ، والفأس والمعول ... الخ ، وأصبح هناك من يصنع الأحذية والأدوات للاستخدام المنزلي ، وتطورت الأدوات الصناعية بمرور الوقت ، وذلك لتطور الآلات من ناحية ، ومن الناحية الأخرى الحاجة للمصنعات . وأخذت فئة الفلاحين تتخصص في صناعة الأدوات اللازمة للقرية مثل النجار والحداد والحذاء وغيرهم من أصحاب الحرف الصناعية ، وأصبح الصانع في غني عن العمل الزراعي ، وأن كان ظهور المدن بشكل أساسي هو الذي طور عملية الصناعة والتجارة ، وكذلك أصبحت للقرى أهمية ومميزات عظيمة في الإنتاج الصناعي الذي يعتمد علي الزراعة ، وأن كانت الصناعة هي عنصر الحياة في المدن [١].

أن الصناعات التي كانت موجودة في إنجلترا الأنجلو سكسونية قد توقفت معظمها بسبب الحروب ، وتدهور عدد كبير من هذه الصناعات , وأن كان الفن الزخرفي الذي اشتهر به الأنجلو- سكسون ، وكانوا معروفين به أصبح ضعيفا[٢] .

أما المدن فكان بها بعض الصناعات الهامة مثل صناعات صياغة الذهب والغزل والنسيج وأعمال الميناء وصنع الأسلحة والحلي , وغيرها من الصناعات التي تتركز في هذه المدن , ولم يأت ذلك من فراغ لأن الملوك ورجال الطبقة الارستقراطية كانوا سبب في فشل أوربا في إنجاز ثورة صناعية ، وبقيت الأساليب الصناعية علي حالتها ، ومعني ذلك أن الصناعة ظلت معتمدة علي العمالة اليدوية ,

---

1 - Arthur , op. cit., p 34.

٢ - جوزيف نسيم يوسف : تاريخ إنجلترا ، صـ٩٩-١٠٠.

ولم يتم تطوير سوي عدد قليل من الآلات بعد بداية العصر المسيحي ، وبالرغم من أن الإغريق عرفوا فكرة الآلة البخارية ، فإنها لم تستخدم في الصناعة علي الإطلاق فلماذا كان الفشل في تطبيق العلم علي التكنولوجيا ؟ كان هناك خطأ ما في الفلسفة السائدة بين القادة الارستقراطيين الذين لم يحبذوا مثل تلك الأساليب . ولم يكن هناك دافع يحث علي اكتشاف مصادر جديدة للطاقة ، كما انه لم تكن هناك حاجة لذلك طالما أن طاقة العبيد المجلوبين من البلدان المستعمرة كانت كافية للإنتاج ، وكان يمكن مضاعفة الإنتاج عن طريق مضاعفة عدد العاملين من العبيد، كما أن سهولة الحصول علي الطاقة الإنتاجية من أعمال العبيد لم تشجع علي اختراع آلات وأساليب صناعية جديدة [١] .

وفضلا عن عدم تشجيع الصناعة والتطور التكنولوجي فإن تشغيل العبيد حدد نوعية السلع المنتجة ، فقد أدي الإنتاج البسيط نسبيا إلي سهولة التقليد ، كما وقفت عقبة في تطوير المنتجات فعلي سبيل المثال كانت الملابس المنتجة سهلة التقليد بسبب بساطة تصميمها , وتقدم صناعة الفخار مثالا آخر علي سهولة تقليد السلع البسيطة ، فالواقع أن صناعة الفخار اليونانية القديمة واجهت منافسة من جنوب الغال ، وأدت هذه الأحوال إلي عدم انتعاش التجارة الخارجية لعدم وجود المنتجات المحلية الجيدة [٢].

وفي العصور الوسطي الباكرة في إنجلترا أصبحت الصناعة إلي حد ما متحررة وآمنة ، حيث أصبح لكل صانع الحق في إبداع ما يشاء من الصناعات . وتوافرت الأسواق وان كانت قليلة لتسويق منتجاتهم ومقايضتها أحيانا ، وأن كانت الحياة الاجتماعية ما تزال تؤثر في طبيعة المجتمع ، حيث يعمل كل صاحب حرفة مع الآخر ليكملوا بعضهم البعض ، وأن يوجد مراقبة وأشراف علي تنظيم الصناعات خوفا من الغش ومن أجل تحسين الإنتاج ، ولم يكن هناك ميزان قوي وعلاقات دولية لتحكم الإنتاج الصناعي بمدلول هذا العصر ، وكان مكان العمل عبارة عن ورش صغيرة يعمل بها من صانع واحد إلي أربعة حيث مازالت الآلات بدائية[٣] .

وتبع التصنيع خطوط التجارة ، وبرغم أن معظم الإنتاج الصناعي حدث في المحلات الصغيرة وليس في المصانع الكبرى ، فإن بعض رجال الإقطاعيين استخدموا أعداد هائلة من العمال لإنتاج السلع ، ففي العادة كانت صناعات النسيج الباكرة بدائية ، ولكنها تمارس علي نطاق واسع ومن الطبيعي ألا يعمل هؤلاء العمال في المصنع وإنما في محلاتهم التي يمتلكونها أو في منازلهم ، ونظرا لأن الملتزم الصناعي كان يرسل مواده الخام إلى عماله بدلا من إحضار العمال إلي

---

[١] - نورمان كانتور: التاريخ الوسيط ، ق ١، صـ٣٧-٣٨.

[٢] - نورمان كانتور: التاريخ الوسيط ، ق ١، صـ٣٨.

[3] - William Ashley , op. cit., p.34.

المكان الذي به المواد الخام ، لذلك أطلق علي هذا الأسلوب في الإنتاج " نظام الإنتاج المنتشر " –Putting –out- System- وكمرحلة سابقة علي نظام المصنع مباشرة ، فإنها كانت مرحلة حاسمة في تاريخ الرأسمالية الباكرة في العصور الوسطي[١] .

وكان الدومين وحدة اقتصادية متكاملة ، حيث يغطي حاجات الأمير والفلاحين بإنتاجه الصناعي ، إذ أن الأمير في كل دومين كان يشغل الفلاحين ممن يلمون ببعض المعرفة في تحويل بعض المنتجات الزراعية ، أو نسيج الأقمشة أو صنع الأدوات الابتدائية ، ولم يكن هؤلاء الصناع بأعداد كبيرة أو مهره متخصصين وكان منهم الحداد والنجار وصانع الأسلحة والدروع والبنائين والخياطين وغيرهم من أصحاب الحرف ، وكانت أشهر الصناعات في إنجلترا الأنجلو- سكسونية في ذلك الوقت هي صناعة النسيج , وان كانت منطقة الفلاندرز والفريزين تنتج أجود الأقمشة المشهورة الناعمة ولها مكانتها الصناعية العظيمة [٢].

وأن كانت صناعة الغزل والنسيج من أشهر الصناعات التي تميزت بها إنجلترا علي الإطلاق ، فالغزل بطبعه حرفه منزلية عرفها الإنسان منذ بداية التاريخ ونجدها حيثما نجد الأصواف في كل الأقطار . وكل ما تحتاجه هذه الحرفة هي تحريك إنتاجها وإتقان صنعها حتي تصبح صناعة حقيقية ، ولم يكن هذا الأمر سهلا ولم يماثل وادي الشيلد في تقدم صناعة ملابسه إقليم آخر خلال العصور الوسطي [٣] .

أما الملابس الصوفية فكانت ذات شهره في إنجلترا ، ووجدت صناعة الملابس لها أسواقا رائجة ، وأن كان القائمون عليها في البداية هم الملاحون عبر أنهار الأراضي المنخفضة تحت اسم طيالسة الفريزين –Pallia Fresonica- وتسببت جودة هذه الملبوسات في ازدياد الطلب عليها علي طول السواحل العديدة التي تردد عليها ملاحو الشمال لتلبية هذه المطالب . وازداد إنتاج الصوف المحلي في نهاية القرن العاشر كان غير كاف ، ولا يلبي الاحتياجات وصار الصوف يصدر من إنجلترا إلي البلاد المجاورة ، ولقد زادت شهره الصوف الإنجليزي من ثمن الملبوسات المنتجة والمصنعة منه [٤] .

---

[١] - س. ورن. هلستر : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، صـ١٦٥ .
- Williamson , op. cit., p.48.

[٢] - س. ورن. هلستر : المرجع السابق ، صـ١٦٥ .
- Williamson , op. cit., p. 48.

[٣] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٤٠.
- Williamson , op. cit., p.48.

[٤] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٣٩.
- William Ashley , op. cit., p.35.

والمدن الصناعية في العصور الوسطي الباكرة التي حدد موقعها هو ميلادها علي ضواحي الأبراج أو أن الأبراج هي التي حددت موقعها ، وسرعان ما دفع تجمع التجار في مواقع مناسبة الحرفيين أيضا إلي أن يجتمعوا هناك ، ولقد كان الحشد الصناعي في المدن مماثلا في القدوم للحشد التجاري . ونستطيع أن نلاحظه ببساطه خاصة في إقليم الفلاندرز ، فلقد هاجر صناع الملابس الذين قاموا لهذه الصناعة في هذا الإقليم إلي الأماكن التي حملوا إليها منتجاتهم . وهنالك وجد النساجون الصوف المستورد علي يد التجار ، ووجدوا الغزالين والصبغات اللازمة للتلوين . ولقد صاحبت هذا التحول الذي لا نعرف لسوء الحظ تفاصيله صناعة ريفية داخل مجتمع مدني . ولقد تحولت الحياكة التي كانت في يد النساء إلى يد الرجال وفي نفس الوقت تحول الطيلسان الصغير القديم إلى قطع من الملبوسات الطويلة ، التي صارت ملائمة للتصدير وظل طولها الطول المثالي الذي صارت عليه منتجات الملابس حتي اليوم . وهنالك سبب طيب أيضا لافتراض وقوع مثل هذا التغير في ذلك الوقت في الأنوال التي كان يستخدمها النساجون ، وهو تغيير مقاس سداه النسيج من عشرين زراعا إلي ستين زراعا حتي تواءم بذلك مع العارضة الخشبية للنول ، وكان من الممكن أن نلاحظ تطور مماثلاً في صناعة الملابس الفلمنكية في مجال الصناعة في وادي الميز وتطورها عموما . فلقد تلقت دفعه قوية حين أعطاها انتعاش الملاحة في النهر الفرصة لإنتاج ما يمكن تصدره منها ، وفي نفس الوقت أصبح تركيز هذه الصناعة قائما في مدن نامور – Namur- وهاي –Huy- وفوق ذلك في دينانت –Dinant- وهي المدن التي قصدها التجار ، وأصبح كذلك إنتاج وتصنيع أحواض المعمودية نشيطا حتي نلتقي بها في أماكن بعيدة في إنجلترا مثل ثوهامبتون وونشستر[١].

التجارة :

لم تكن إنجلترا الأنجلو سكسونية منقطعة الصلة بالشرق كل الانقطاع من الناحية التجارية، حيث كان الإسكندنافيون من جهة والألمان من جهة أخري وسطاءها في التجارة . وبحفر الأرض هنا وهناك في إنجلترا وايرلندا نكتشف نقود شرقية أحيانا مع عقود أو حلي فضية أخرى ، دليلا علي أن تجارة الشرق الأدنى كانت تسلك طريق الشمال لتمد نشاطها إلي هناك . والواقع أن هذه النقود لا يمكن أن تصل هناك إلا بعد أن تجتاز اسكندناوه في السفن الاسكندناوية التي ترتاد سواحل بحر الشمال بنفس السهولة التي تعبر بها السفن البحر البلطي وتجذب إلى بريطانيا العظمى المنشاة الفخمة . وكان للبحرية الاسكندنافية التفوق في بحر الشمال وبخاصة في عصر حملات الفيكنج , حتي لم يبق للإنجليز السكسونيين مجال كبير للإسهام في التجارة أسهاما نشيطا . فقد عثر في الحفائر التي أجريت

[١] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٤٨-٤٩.

بالبلاد الاسكندناوية علي كميات ضخمة من النقود الأنجلو سكسونية ، دلالة علي وجود تجارة نشطه جدا كان للاسكندناويين حرية التصدير فيها . ولما كانت النقود موجودة غالبا في السويد ، وبنوع خاص في جزيرتي اولاند وجتلاند ، فإننا نستنتج من هذه الظاهرة أن الاسكندناويين الشرقيين بالأخص الذين كانوا يزالون التجارة مع الإنجليز السكسونيين وهم الذين كانوا علي صلة بروسيا وعن طريقها بالشرق[١] .

ولقد اضطرت قارة أوربا سريعا أن تشعر بقوة حركتين تجاريتين عظيمتين ظهرتا علي أطرافها واحدة في غرب البحر المتوسط والأدرياتيك ، والأخرى في بحر البلطيق وبحر الشمال ، واستجابة لروح المغامرة وحب الكسب الموروثة في طبيعة البشر . فإن التجارة في جوهرها ناقلة للعدوي فضلا عن أنها بطبيعتها نافذة التأثير علي من يشتغلون بها ، وهي بالطبع تعتمد عليهم في علاقة التبادل التي تتم بينهم والاحتياجات التي تتطلبها [٢] .

وكان المنظر الذي عليه البحران الداخليان بحر الشمال وبحر البلطيق ، اللذان يغسلان شواطئ أوربا الشمالية علي البحر المتوسط الذي كانا زيلا له . ويمكن القول أن الطرف الأوربي نجد نشاطا بحريا وتجاريا ملفتا للأنظار مبينا لنشاط القارة الاقتصادي والزراعي ، ولقد رأينا من قبل كيف أن نشاط مينائي كينتوف ودورستيد قد توقف بعد غزو الفيكنج في القرن التاسع ، بسبب نقص الأسطول لم تستطيع الإمبراطورية الكارلنجية أن تدافع عن نفسها ضد هجوم برابرة الشمال . ولقد استغل الاسكندنافيون النشطاء هذا الضعف جيدا لأكثر من نصف قرن في شن غارات سنوية ، ليس فقط عن طريق مصبات الأنهار الشمالية ، ولكن عن طريق أخوار المحيط الأطلنطي . ولكن رجال الشمال لم يقوموا بالسلب والنهب ، ولقد استطاع سادة البحر أن يبرروا عدوانهم علي أن قصدهم لم يكن منه الغزو ، رغم أنهم كسبوا مناطق استقرار صغيرة لهم علي القارة في الجزر البريطانية [٣] .

ولقد أمتد النشاط التجاري طبيعيا إلي موانى بحر الشمال ، وصار معروفا لبحارة الشمال الذين كانوا قد خربوا المنطقة الداخلية الخلفية منذ زمن بعيد ، ولقد أصبحت موانى هامبورج علي الألب وتيبل علي الوال ، موانى النشاط الزائد لسفن رجال الشمال . ولقد ظلت إنجلترا تستقبل عددا كبيرا منهم وعادت عليهم التجارة المحمولة بالثروة التي لم يستطيع الأنجلو- سكسون مقاومتها ولقد أكد اكتشاف

---

[١] - ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي ، ترجمة أحمد رضا ، الهيئة العامة للكتاب ، جـ١ ، ١٩٨٩، صـ١٠٣-١٠٤.

-Hilder Brand Dasheidnische Zeitalter in Schweden , p .184.

[٢] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٣١.

[3] - Thompson & Johannes , An Introduction to Medieval Europe , New York ,1951, p.265 .

عملات انجليزية فلمنكية وألمانية في أحواض البلطيق وبحر الشمال قيام هذه التجارة من منابع التايمز والراين إلي دفينا –Dvina- ولازالت قصص البطولة الاسكندناوية , تروي قصص المغامرات التي وقعت علي يد رجال البحر البواسل ، الذين خاطروا بالذهاب بعيداً إلي أيسلندا وجرينلاند ولقد ذهب شبابهم الإعزاز ليضافوا إلي مواطنيهم في جنوب روسيا ، وقد وجد الأنجلو سكسون والاسكندنافيون في القسطنطينية ضمن حرس الأباطرة الخاص[١] .

ومع مطلع القرن الثامن الميلادي عادت التجارة الأوربية إلي هذا المربع البحري الكبير ، وبقيت الحركة الاقتصادية باتجاه بغداد حركة شرقية ، ولقد قال - ابن خلدون- ونقل عنه -جورج مارسيه- متأثرا بقوله : لم يعد في استطاعة لوح خشب واحد للمسلمين أن يطفوا علي مياه هذا البحر ". ولقد قامت علي ضفتيه التي كانت تستقبل سلفا موجه بعد الأخرى من طوائف وجماعات ، لها نفس العادات ونفس الاحتياجات ونفس الأفكار حضارتان ، أو من الأفضل القول عالمان متخاصمان للصليب والصليبين ، ولقد انهار توازن العالم القديم الاقتصادي الذي حدث عند الغزو الجرماني [٢] .

وأقام السكسون- الإنجليز علاقات تجارية مع الفريزيين والفيكنج ، وكذلك علاقات تجارية مع الشرق ، ونتيجة للغزوات والحروب المستمرة في القرن الثامن الميلادي تدهورت هذه التجارة إلى حد ما بسبب الأغارات والقرصنة ، وكذلك الأوضاع السياسية في البلاد مما أدي إلي عرقلة التجارة مع البلاد السابقة [٣] .

وكانت الطرق لها دور مهم في حركة التجارة في إنجلترا الأنجلو سكسونية ، وأن كانت في البداية تخدم الأغراض العسكرية في سرعة وسهولة ، وسرعان ما تحولت الطرق من تلك الصبغة العسكرية إلي الأغراض السليمة ولاسيما في الجنوب ، حيث صارت وسيلة من وسائل التجارة والمواصلات . أما في الشمال والغرب فظلت محتفظة بوظيفتها العسكرية ، وارتبطت بالحصون ليسهل بواسطتها إخماد الثورات المقلقة لروما ، وبلغت الطرق الرومانية في الجزيرة خمسة آلاف ميل ، فضلا عن عدد لا يحصي من الطرق المائية تنقل عليها التجارة الداخلية النشطة [٤] .

---

[١] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ٣٠.

[٢] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ١٠-١١.

- Georges Marcais , History et Historians de l'Algerie , Paris , 1931 , p.212.

[3] - Thompson & Johannes , An introduction to Medieval Europe , New York , 1951 , p. 265.

[٤] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ١٩؛ ديورانت، جـ٣، م٣، صـ٥٨.

- Carter, op. cit., pp.16-19.

ولما كانت مدينة لندن ملتقي الطرق جميعا ، فإنها باتت قاعدة لتموين الجيوش ، ومن ثم صارت المركز الأعظم للتجارة بالجزيرة كلها في العهد الروماني ، ولا تزال كذلك حتي الآن ولم تزد لندن عند بداية الفتح الروماني عن كونها قرية صغيرة مؤلفة من أكواخ صغيرة حول برجها المشهور – Tower of London– ثم صارت بعد الفتح تشغل مساحة ثلاثمائة فدان محاطة بالأسوار ، وعلا شأنها من الناحيتين الاقتصادية والحربية لحسن موقعها علي نهر التايمز ، ولأهمية الطرق المتفرعة عنها ، وزاد عدد سكانها حتي بلغوا ستين ألفا وسرعان ما أصبحت عاصمة بريطانيا بدل من كولودونم [١] .

ورغم وجود نشاط تجاري ملحوظ إلا أن الطابع الزراعي كان هو الغالب ، ولقد قامت سياسة هذه البلاد علي الاكتفاء الذاتي ، وأن كان هناك طبقة نشيطة من التجار يقومون بالبحث في البلاد المجاورة والبعيدة عن السلع الخارجية أو للترويج لمنتجات بلادهم ، وبسبب الأخطار التي كانت تواجه حياة التجار ونهب بضائعهم فعينوا علي القوافل التجارية قوي مسلحة لحراستها من السلب والنهب . وأن التجارة مع البلاد البعيدة كإسبانيا وإيطاليا والقسطنطينية وبلاد الشام ومصر فكان التجار يجيدون معرفة الطرق وكذلك اللغة الأجنبية ، ولهم مستودعات لتخزين السلع وعلاقات في الموانئ وأماكن لنقل التجارة .

وكان العامل الرئيسي في ذلك الوقت في القرن التاسع هو اضمحلال التجارة وحياة المدن ، وهو الأمر الذي بدأ منذ القرن الثالث الميلادي ، وكان قد وصل منتهاه زمن شارلمان وبطبيعة الحال لم تكن التجارة قد توقفت ، كما لم تختف النقود التي هي الوسيط في عمليات التبادل التجاري ، ولكنها فقدت أهميتها فحسب . إذا لم تكن أية مدينة من مراكز الحكومة الكارلنجية مركزا تجاريا هاما سواء أخن أو ميتز أو فيردن . حقيقة أن القطيفة والحرير كان يباع في أسواق بافيا في ثمانينات القرن الثامن ، وبعد ذلك بمائة سنة في ذروة الغزوات الجرمانية وكان بوسع الراهب أبو الفليري – Abbo of Fleury– أن يصب احتقاره علي رؤوس أولئك الذين : " نعمت عاداتهم برفاهيات الشرق فلبسوا الثياب الغالية من الأرجوان الصوري والجواهر وجلود إنطاكية " وتمدنا المصادر أن التجارة كانت مستمرة ، ولكن ما ينقصنا هو الدليل علي وجود تجارة في أي من أساسات الحياة ، لقد استمرت التجارة منتعشة في مواد الرفاهية والتوابل والمواد اللازمة لثياب البلاط وملابس رجال الكنيسة ، ولابد أن نلاحظ أنها أخر تزامن منع انهيار التجارة والمراكز الحضرية ، وهو انهيار وسائل الاتصال ، مع تداعيات الحتمية أي تحجر الحكومة المركزية [٢] .

---

[١] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٥٨.

[٢] - موريس كين : حضارة أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم، طـ ١، عين للدراسات والبحوث ، سنة ١٩٩٤ ، صـ٤٩- ٥٠.

وكان هناك علاقات تجارية مع المسلمين ، فلا أحد يمكنه إنكار قوة التواجد الإسلامي التجاري في أغلب دول أوربا بما في ذلك إنجلترا الأنجلو- سكسونية في العصور الوسطي مع نهاية القرن السابع الميلادي ، بدليل اكتشاف العديد من العملات الإسلامية فضلا عن تأكيد المراجع لهيمنة الدينار الإسلامي المعروف علي عرش التجارة العالمية ، وذلك علي حساب الصلدى الذهبي الذي توقف استخدمه في أوربا الغربية بما فيها إنجلترا الأنجلو- سكسونية منذ بداية القرن الثاني حتى القرن الثامن الميلادي ، ومما يؤكد عظم وقوة أثر هذا التواجد الإسلامي التجاري في إنجلترا الأنجلو- سكسونية أن الأوربيون يفضلون التعامل مع المسلمين بالدنانير الإسلامية الأصلية بسبب رفض الآخرين التعامل بغيرها [١] .

والحقيقة أن الاكتشافات الأثرية قد أكدت عمق جذور العلاقات التجارية بين الشرق الأدنى الإسلامي والقارة الأوربية بعامة وشمال أوربا وإنجلترا بصفة خاصة ، وكانت تلك التجارة قوية وعميقة الجذور حتي في العصر الروماني ، كان البريطانيين علي صلة قوية من الناحية التجارية بالشرق , واستوردوا من الشرق عدد كبير من السلع التجارية [٢] .

وازدهرت العلاقات التجارية واتسعت بين الشرق وبريطانيا ، وخاصة بعد ظهور الإسلام وانتشاره ، وبعد إقامة الممالك الأنجلو- سكسونية في بريطانيا . وتقدمت وازدادت بين الأنجلو- سكسون والعباسيين , حيث كانت هناك تبادل واسع للسفارات فضلا عن التبادل التجاري ، الذي استتبعه قدوم التجار العرب إلي إنجلترا لإدارة أمور تجارتهم بأنفسهم , وتصفية حساباتهم التجارية المختلفة حاصلين معهم كافة أنواع السلع الشرقية ، ثم يعودون إلي بلادهم حاملين معهم العديد من السلع والبضائع الإنجليزية المختلفة . ودخل الملك أوفا الأنجلو- سكسونى مع شارلمان في منافسة علي السيادة التجارية مع الشرق وأصبح ندا قويا له ، وهذا جعل الملك أوفا يحذو حذو وشارلمان بتعميق روابطه التجارية مع العباسيين [٣] .

ومما يؤكد قوة العلاقات التجارية من إنجلترا الأنجلو-سكسونية والخلافة العباسية الإسلامية ، في ذلك الوقت هو دينار الملك أوفا الإسلامي العباسي الطراز . وأوجد ذلك تبادل للسفارات والمبعوثين الرسميين مع الخلافة العباسية ، وذلك لتقوية الروابط التجارية بين إنجلترا والخلافة العباسية ، وتشجيع التبادل التجاري بين البلدين ، وتم عقد اتفاقات تجارية بين البلدين ويمكن القول بتدفق التجار المسلمين بسفنهم وانطلاقهم في إنحاء المدن والموانئ الإنجليزية ، وبيع سلعهم

---

[1] - Atiya , op. cit. , p. 223.

[٢] - مصطفي الكناني : أوفا ملك إنجلترا الانجلو – سكسوني ، صـ١٢٣-١٢٤.

[3] - Atiya , op. cit., p. 169.

وشراء ما يحتاجون إليه وأن كان التجار المسلمين في ذلك الوقت ليسوا تجارا بل كانوا دعاه إسلاميين في نفس الوقت [١].

وقد تناول المؤرخين تاريخ العلاقات التجارية بين أوربا والمسلمين ، فذكروا ما يؤكد علي تربع العملة العربية علي عرش التجارة العالمية آنذاك لدرجة أن ملوك أوربا قلدوهم ضاربا المثل بدينار الملك اوفا ، فالعملة الذهبية المشهورة التي ضربها الملك اوفا قد نقش علي أحد وجهيها اسمه باللغة اللاتينية من اليمين إلي اليسار ثم الوجه الآخر حمل نقشا عربياً ، وهذه العملة تعد تقليدا واضحا للدينار العربي ، مما يؤكد قوة نفوز وهيمنة التجار العرب وعملتهم علي عرش التجارة العالمية [٢] .

ولقد وفرت التجارة ثروات عديدة من الرسوم المتحصلة علي أرباح البضائع والسلع التجارية المختلفة التي كانت ترد إلي إنجلترا من كافة الدول المعروفة آنذاك ، ومما لا شك فيه أن جهود الملك أوفا هي شغله الشاغل ، ولعلنا نجد في عبارة قالها هو نفسه عن أهمية التجارة مما يؤكد اهتمامه بها ، إذ قال: "أن أي ملك يريد أن يرفع مستوي معيشة شعبه وتحقيق أمجاده ، لابد أن يهتم بالتجارة ويشجعها ". ولا شك أن هدفه من تشجيع التجارة كان في المرتبة الأولي إعداد القوة اللازمة لتحقيق أهدافه لتوحيد الأمة الإنجليزية ، ورفع مستوي معيشتها عن طريق الرسوم المتحصلة من التجارة وأرباحها . والثابت أن علاقات إنجلترا مع القارة الأوربية والعالم الإسلامي كانت قوية في المجال التجاري في عصر الملك أوفا , والحقيقة أنه يصعب علي الباحثين تحديد النشاط التجاري بين إنجلترا والقارة ، لكن توجد شواهد تاريخية تؤكد ازدياده في القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي [٣] . فلقد ذكر المؤرخ – بيده- في سياق حديثة عن أحداث سنة ٧٦٩م إلي محاولات أحد التجار الفريزيان –Frisian - الموجودين في لندن شراء أسير حرب إنجليزي[٤] ، وبعد حوالي قرن تقريبا وردت إشارة تفيد تواجد جاليه تجارية كبيرة من التجار الفريزيان في مدينة يورك . ورغم ذلك فإن الإشارات عن مدي حجم التبادل التجاري بين إنجلترا وبلاد الغال قبل تلك الفترة كانت قليلة[٥].

وكان سكان ضفاف الأنهار التي تصب في القسم الجنوبي من بحر الشمال بحكم موقعهم هذا في إنجلترا . ومنحهم امتياز بمزاولة أعمالهم في سوق لندن ، كان عليهم أن يدفعوا مرتين في السنة في عيد الميلاد وعيد القيامة قطعتين من جوخ

---

[١] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ١٢٣-١٢٤.

- Stenton , op. cit., p.223.

[2] - Atiya , op. cit., p.169.

[٣] - مصطفي الكناني : المرجع السابق، صـ١٠٢-١٠٣.

- Richmond , op. cit., p .180 ; Stenton , op. cit., p.224.

[4] - Bede, op.cit., pp. 244-245 ; Stenton , op. cit., p.220.

[5] - Stenton , op. cit., p.220.

رمادي وقطعة من جوخ بني ، وأربعة أرطال من الفلفل ، وخمسة أزواج من القفازات وبرميلين صغيرين من الخل ، وكثيرا ما نجد في العصر الوسيط كمية معينة من الفلفل ومفروضة كإتاوة عينية علي التجار أو سواهم من الأفراد . ومما يسترعي الاهتمام التسليم في عصر مبكر كهذا العصر بأنه من المعتاد إن يكون لدي التجار الألمان فلفل في مخازنهم ، وليس في وسعنا أن نفترض أنهم لم يكونوا يستوردون إلي إنجلترا إلا الكمية الضرورية من الفلفل لأداء الضريبة ، ومن ثم فليس ثمة خطورة في التسليم بأنهم اعتادوا أن يستوردوا إلي لندن الفلفل والتوابل بوجه عام . ولسنا نملك بخصوص المدن التي كان يأتي منها هؤلاء التجار الألمان سوي بعض التخمينات ، وأكبر احتمال أنهم اتو من تييل – Tthiel– علي نهر الوال - Waal – ودفنتر علي نهر أيسل – Deventer sur l'ussel- وليج علي نهر ميز –Liege Sur la Meuse- وكولوني علي نهر الراين، وبريمن علي الفيزر – Fweser- وقد رأينا أن ماينس كانت من قبل ، وفي هذا العصر مستودعا كبيرا للتوابل هناك . إذن ما يبرر الاعتقاد بان توابل الشرق كانت تشحن في السفن من نهر الراين في طريقها إلي إنجلترا [١].

وكانت بريطانيا الأنجلو- سكسونية بها العديد من الثروات الطبيعية كالغابات والمعادن المختلفة مع الأحجار الكريمة والصفيح والذهب والقصدير والنحاس بصفة عامة والرصاص بصفة خاصة ، حيث كان يخلط بالفضة لسك العملة [٢] .

وانحصرت صادرات بريطانيا في الصفيح والرصاص وقليل من اللؤلؤ والجلود والرقيق والحبوب ، وزاحمت السلع الرومانية من الأواني الساموسية نسبة إلي جزيرة ساموس ببحر اليونان الفن الكلتي ، وطاردته حتي قتلت صناعته ، وما بها من نماذج موسومة بطابع الخيال الذي يشبه الأحلام . غير أن تدهور الحياة الاقتصادية بالمدن جعل المحور الاقتصادي ينتقل إلي الريف ، حيث الماشية والأغنام والعناية بالزراعة ، وقطع الغابات وتحويلها إلي أراضي زراعية غنية [٣] .

وأنتجت بريطانيا ثروة هائلة من الجلود ، فازدهرت تجارتها وازدادت صادراتها ، وتبوأت مكان الصدارة ، كواحدة من أغني مصادر دخل الدولة .

---

[١] - هايد : التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي ، جـ١ ، صـ١٠٤.

- Worsaoe, Dis Danen und Nordmanner in England Schottand und Ireland Trade alum p. Meissner, (Leipzig , 1852) pp.67-71 .

[2] - Richmond , op. cit., pp.9-10.

[٣] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق، صـ٢١-٢٢ ؛ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ إنجلترا ، صـ٤٢.

وأنتجت كذلك الأصواف عالية الجودة وتضاعفت الأنعام الحية من مراعي بريطانيا[١] .

ولم تكن حركة التجارة بأحسن من ذلك ، فقد توقفت حركة التجارة التي كانت نشطة مزدهرة في عهد الرومان حقيقة أن الأنجلو- سكسون كانت لهم اتصالات تجارية عبر البحر مع الفرنجة ، وكانت أهم السلع التي تاجروا فيها هي تصدير الرقيق لهم ، ولكن حجم التجارة كان لا يقاس في أهميته بحجم التجارة أيام الرومان يضاف إلي ذلك أن الصناعات التي وحدت فيما قبل قد توقفت معظمها وتدهور البعض الآخر[٢] .

والأمر الذي يستوجب الالتفات حقا إليه في هذا المجال هو انه رغم انتشار المسيحية بين الشعوب الجرمانية واعتناقهم لها ، فقد ازدادت تجارة الرقيق الأبيض ذيوعا وانتشارا ونشاطا وازداد تجارها ثراءً ، إذ أعانت الحروب والغزوات علي اتساع حركة الرق ، والغريب أن الكنيسة لم تعترض علي ذلك ، ولم تستنكر مبدأ الاسترقاق الذي يتنافي والتعاليم المسيحية ، بدليل أن البابا جريجوري الكبير اشتري سنة ٥٩٥م ، عدد من الرقيق الإنجليز من مدينة مرسيليا الفرنسية، فبعث بهم إلي روما لينصرهم فيها ، ولعل جريجوري ومن أتي من بعده من البابوات وغيرهم من كبار رجال الدين آثروا عدم التعرض لهذه التجارة وقتذاك , حتي لا يثيروا الشعور ضدهم في وقت لم يكن من السهل عليهم القضاء بجرة قلم علي تجارة قديمة رابحة ، وحتي لا يضعوا العقبات والعراقيل أمامهم في سبيل التبشير بالدين الجديد ، فأثروا غض الطرف مؤقتا عنها ، والعمل علي شراء الرقيق ، وكان غالبيتهم وثنيون ، وتنصيرهم واعتناقهم المسيحية ، وفي هذا كسب للمسيحية من وجهة نظرهم[٣] .

وتستورد إنجلترا الأنجلو- سكسونية من بلاد الشرق الحرير والسجاجيد ونسيج الكتان وأرقي أنواع الخزف وصنوف الزجاج الرخيص والنفيس والجواهر والعطور وأدوات الزينة[٤] ، وكان يقايضون جيرانهم من البرابرة يرسلون لهم زينات الخيول ورشماتها والجواهر . ويأخذون من البرابرة الرقيق والكهرمان وغيرها [٥].

ويذكر – رتشموند- أن البريطانيين كانوا يستوردون من الشرق البردي والبلسم والقرفة والزنجبيل والعطور والبخور من مصر وبلاد الشرق[٦] .

الضرائب :

---

1 - Richmond , op. cit., p.10.

٢ - جوزيف نسيم يوسف : تاريخ إنجلترا ، صـ٩٩-١٠٠ .

٣ - جوزيف نسيم يوسف : تاريخ إنجلترا ، صـ١٣٣-١٣٤.

٤ - هـ. سانت موس: المرجع السابق ، صـ١٦.

٥ - هـ. سانت موس : المرجع السابق ، صـ١٧.

6 - Richmond , op. cit., p.180.

أهتم الأنجلو- سكسون بالنظام المالي والموارد المالية ، التي اعتمدت عليهم مملكتهم فانعكست أزمة القرن الثالث الميلادي علي ولاية بريطانيا الرومانية ، فتلفت الأراضي وأصاب الجفاف مساحات هائلة من الأراضي الزراعية ولحق التدمير بالأراضي والمباني والمخازن ، حتي صار من الصعب علي مالكي الأراضي الزراعية استصلاح الأراضي وحمايتها . فأدت قلة المحاصيل الزراعية إلي استحالة مواجهة الضرائب الفادحة ، والتي وقع عبئها علي صغار الفلاحين والمستأجرين في الوقت الذي كان فيه كبار الملاك الزراعيين لا يلتزمون بدفع ما يستحق عليهم من ضرائب ، وأن كان صغار الفلاحين أتباعا لسادتهم الإقطاعيين ، وعليهم التزامات مثل تأدية الخراج نقداً أوعيناً والخضوع لقضاء السيد المحلي الذي يستمد سلطته من الملك وفوق ذلك دفع الضرائب . ونتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية تحول صغار الفلاحين المستأجرين إلي أقنان[١].

وازداد عبء الضرائب زيادة كبيرة سواء تلك التي فرضتها الحكومة المركزية أو التي جمعتها السلطات المحلية . وذلك أن الإمبراطورية أصبحت مقسمة إلي دوائر جمركية عديدة ، في حين فرضت الضرائب علي جميع السلع التجارية بنسبة تتراوح بين ٢% إلي١٢% وهذا فضلا عما فرضته المدن من ضرائب صغيرة علي المأكولات كالخضر والفاكهة والطيور واللحوم ، والتي ترد إليها من الأقاليم المجاورة وكان المتبع أحيانا أن تكون هذه الضرائب عينية ، أي تؤخذ من نوع البضاعة أو الصنف بعكس الحال في الضريبة الذهبية الفضية – Cyrysatgytum- وهي الضريبة الرئيسة في الإنتاج الصناعي ، والتي سميت بهذا الاسم لأنها كانت تدفع نقدا[٢] .

ورغم دفع صغار الفلاحين المستأجرين للضرائب إلا أنه فرضت عليهم العديد من أنواع السخرة فهي السخرة الأسبوعية ، حيث فرض عليه العمل في أرض سيده الخاصة ثلاثة أيام وثلاثة في أرضه أم يوم الأحد فكان العمل فيه بأمر السلطات الدينية . أما السخرة الفصلية فتكون في مواسم جمع المحصول وحصاده والسخرة العامة مثل شق الطرق والقنوات وإنشاء الجسور وغير ذلك من المرافق العامة[٣] .

وكافة الضرائب التي يدفعها الفلاحين عبارة عن ضريبة الرأس ، وهي عبارة عن مبلغ معين فرض علي كل من صغار الفلاحين والمستأجرين يدفعه للسيد الإقطاعي ، وهذه الضريبة عينية الهدف منها أن تكون رمزا للتبعية . أما ضريبة

---

[1] - Robinson , op. cit., pp.402-403.

[٢] - سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق , جـ١ ، صـ٣٢.

- Lot , The end of the Ancient world, p.121 ; Charles worth , the Roman Empire , pp.70-75.

[3] - Rostovtzeff , op . cit., vol.2, p.317 ; Katz , the Decline of Rome, p. 37.

العشر فكان الفلاحين ملتزمون بتقديم عشر إنتاج الأرض للسيد الإقطاعي من حبوب وخضروات وثمار وماشية وطيور وغير ذلك[١].

وتنقسم الضرائب إلى ضرائب مباشرة وضرائب غير مباشرة .

الضرائب المباشرة تمثلت في الضريبة العقارية والجزية ، وهو المصدر الأساسي للموارد المالية التي اعتمدت عليها بريطانيا لملئ الخزانة . ولذلك كانت القوة الشرائية للخزانة مرهونة بزيادة أو نقص الإنتاج ، وبطبيعة الحال لم تكن هذه الضريبة ثابتة بل كانت تزيد أو تقل حسب الموارد والإنتاج . ولقد كان دافعي هذه الضرائب يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والتعسف ، وكل مقاومة للدفع كانت تقمع بالتعذيب وأحيانا القتل ، وكان هناك إتاوات يضاف إليها الهبات السنوية ، التي كان يحملها كبار الملاك إلي الملك في الأجزاء الجرمانية من المملكة [٢] .

أما *الضرائب الغير مباشرة* ، وهي رسوم تدفع علي السلع المباعة في الأسواق ورسوم الترانزيت , وأن هذا النوع من الضرائب كان يجبي بسهولة ، فكان يكفي لجباية رسوم السلع وغير ذلك إقامة نقطة مسلحة في سوق أو رصيف أو جسر . وأن حصيلة الضرائب المباشرة وغير المباشرة لم تكن تستخدم من أجل الاتفاق علي الدولة ومصالح الشعب ، بل كانت تذهب إلي خزانة الملك . لذلك كانت تفقد طابعها العام لم يكن الملك يعطي شيئا لرعاياه من هذه الضرائب , إذ أنه لم ينفق منها علي الفقراء المرضي والمحتاجين , كما لم ينفق منها علي المنفعة العامة من تعليم وعمارة وجيش وإدارة وغير ذلك . لذلك تكدست الخزائن الملكية بالذهب والفضة [٣].

وهكذا نلاحظ ازدياد مطردا في الضرائب المباشرة وغير المباشرة داخل ولايات الإمبراطورية وخاصة بريطانيا ، ذلك أن الأمر لم يقتصر علي تضاعف عدد الضرائب المفروضة بل صاحب ذلك ارتفاع نسبة الضريبة الواحدة ارتفاعا مستمرا [٤].

ولم يتهاون الأنجلو- سكسون في جمع الضرائب كعامة القبائل الجرمانية ، إذ أنهم طالبوا بها بجشع وطمع ، فقمعوا الأهالي وحملوا السكان كل الأعباء المالية مثل حق إيواء الملك ورجاله وإعاشتهم ، وكذلك الموظفين والسفراء الرسميين والعناية بخيول الملك ورجاله والمرافقين له ، وكذلك الطرق والموانئ والجسور وغير ذلك , وكان الملك علي علم أن جباه الضرائب الملكية أحيانا يقوموا بنهب هذه الضرائب ويتهمون دافعي الضرائب بعدم دفع الضرائب . وأغدق الملك بالحصانات التي يعفي بموجبها الأسقفيات والأديرة من دفع الضريبة الملكية . وحرم علي

---

1 - Chapot , Le Monde Romain , pp.106-111.

2 - Lot F P., & Gansh F L., Les De Stinees de l' Empire en Occident de 395-768 , Paris , 1940 , p.228.

3 - Lot , The England of the Ancient world , pp.293-294.

4 - Chapot , op. cit., pp. 106-111.

القاضي وأتباعه دخول الأراضي المحصنة لممارسة حق الإيواء ، كما حرم إقامة محاكمة قضائية وجباية بعض الرسوم . والحقيقة أن الملك كان يريد من هذا الإجراء دفع المحصن الضرائب مباشرة إلي خزائنه الملكية ، مما جعل القضاة يتقاضون رواتبهم من رسوم الغرامات التي يفرضوها علي المتقاضين [١] .

واستفاد تماما من الحصانات الكنيسة ، حيث تركت حصيلة الضرائب الكنيسة في مقابل سلام روح الملك ، لذلك استفاد رجال الكنيسة من الحصانات ، وليس سكان أهل الريف ويضاف إلي ذلك إعفاء رجال الدين من دفع الضريبة علي الكنائس والأديرة ، وكذلك ضريبة التجارة علي سلعهم والرسوم التي تفرض علي العبور سواء البرية أو البحرية . لذلك نجد أن الضريبة كانت تجبي علي عدد قليل جدا من الناس ، وهم صغار الفلاحين والمستأجرين وأرباب الحرف ومن شابههم[٢].

العملة :

حدث هناك أزمة وانهيار اقتصادي يطلق عليها المؤرخون أزمة القرن الثالث الميلادي . فقد تخللها نهب وإحراق المزارع وإتلاف المحاصيل وإنقاص قيمة العملة لدفع الرواتب المتأخرة ، فأصبح الدينار الفضي في تدهور مستمر أكثر من الأوريوس الذهبي وغيره من العملات النقدية الأخرى ويلاحظ أن قيمة العملات الفضية أخذت في الهبوط المستمر ، حيث نقص الدينار إلى٧٥% من الوحدات الفضية وبلغت ٥% من الوحدات الفضية . وقد أدي إنقاص العملة وما صاحبها من ارتفاع كبير في الأسعار أدي إلي التضخم –in Flatiron- من ناحية ، ومن ناحية أخري رفض من يمتلك عمله فضية خالصة التعامل مع العملات المخلوطة الشائبة ، فأدي ذلك إلي اختفاء العملات الثمينة من التداول وتدهورت العملة النقدية ، وفي غياب عملة مستقرة حلت المقايضة في المعاملات التجارية [٣] .

ولقد اختلق الاقتصاديون لفظ المقايضة أو الاقتصاد الطبيعي – Natural Wirtschaft- لوصف الفترة السابقة لاختراع النقود ، وليس من عملنا أن نعتبر أن هذه العبارة كانت مطبقة حقيقة ومناسبة لطبيعة التعامل المالي خلال المراحل الأولي للنمو الاقتصادي ، ولكن من المهم أن نستفسر إلي أي مدي كان ذلك اللفظ مستخدما ، كما كان في الغالب مستخدما في بواكير العصور الوسطي قبل حركة الأحياء للاقتصاد . وأن الكتاب الذين يصفون هذه الفترة كواحدة من فترات الاقتصاد الطبيعي قصدوا بوضوح ألا يفهم المصطلح علي الإطلاق . فلقد كانوا

---

1 - Lot , the End of the Ancient world , p.294.

2 - Katz , op. cit., p.50 ; Thompson , op. cit. ,Vol .1, p.27.

3 - Charles Worth., the Roman Empire , pp.123-133 ; Robinson , Hist. of Europe p. 201 ; Cary & Wilson , A shorter Hist. of Rome , p.342.

علي علم بأن اختراع النقود كان مستمر الاستعمال بين كل شعوب الغرب المتحضر ، وأن الإمبراطورية الرومانية ناولتها بدون انقطاع لولاياتها التابعة لها ، ولهذا فإنه حين توصف العصور الوسطي بأنها فترة اقتصاد طبيعي ، فإن ذلك كله يعني أن الجانب الذي لعبته النقود كان حينئذ صغيرا للغاية وبدرجة قليلة الأهمية في الغالب . ودون شك أنه كان هنالك قدر طيب من الحقيقة في تلك المجادلة ، ولكن في نفس الوقت علينا أن نحترس من المبالغة في الأمر[١] .

وهناك حقيقة مهمة جدا ، وربما تكون متناقضة في نفس الوقت وهي أن كل نظام أوربا المالي تحت حكم العهد القديم ، ونظام الإمبراطورية البريطانية قد أسس في الوقت الذي كانت فيه دائرة النقود قد تقلصت إلى أدني مستوي لها كانت قد وصلته . ولقد احتفظت كل الممالك الجرمانية البربرية التي تقسمت إليها الإمبراطورية الغربية ، بدينار قسطنطين الذهبي – Solidus- لعيارهم النقدي ، وبرغم سك اسم ملوكهم عليها ، فإنها لم تكن في الحقيقة عمله دولية حقيقية . غير أن ما يميز العملة في ذلك العصر سواء كانت ذهبية أو فضية أنها سكت علي نسق وأسلوب العملة البيزنطية , أي أنها كانت بيزنطية بحته في طرازها وعناصرها وصيغتها , حيث أن العملة المقبولة هي التي عليها صورة الإمبراطور البيزنطي ، إما إذا كانت عملة أخري فلا تقبل في عالم تجارة البحر المتوسط ، بسبب عدم الثقة فيها حيث تكون مغشوشة وأقل من قيمتها . وكانت تضرب العملة البيزنطية في دور سك العملة في وادي الرون حتي القرن السابع الميلادي[٢] .

وحل واستمر الجنية في التعامل النقدي ، ومثل تحولا نهائيا من نظام روما النقدي ، وفي ذلك النظام كما هو في كل سياسة الإمبراطورية ، من الممكن ملاحظة الرغبة الصريحة عند الأباطرة ليوفقوا بينه وبين شئون الدولة الحقيقية ليطبق تشريعا للظروف الجديدة التي فرضت علي المجتمع يقبل الحقائق ويسلم بها، وأن كان من أساس التعامل النقدي جنيها جديدا أثقل في وزنه من الجنية الروماني لأن وزنه كان ٤١٩ جراما بدلا من ٣٢٧ جراما ، ولقد انقسم إلي ٢٤٠ دينار أو بنس من معدن نقي . ويزن كل دينار من البنسات الفضية حوالي جرامين ، ولقد كان نصف البنس – Obli- العملة الحقيقية الوحيدة نقدا لكن جنبا الى جنب , وجدت نقودا حسابية لها أسماء عديدة تختلف حسب عددها بالنسبة للبنس ، ومن هذه النقود السو- Sou- أو الشلن الذي كان يساوي ١٢ بنسا، والرطل – Libra- الذي يحتوي علي ٢٠ سو ، وهكذا حتي الوصول إلي الجنية الذي يساوي ٢٤٠ بنسا، وكان

---

[١] - هنري بيرين : المرجع السابق، صـ ١٠٣.

- Van Werveke H., Annals d' Histore Economique et Sociale , 1931 , p. 428.

[2] - Worth Catalogue of the coins of the vandals , Oostrog oaths and Lombard's and of the Empire of the Saloica , and Trebizond in British Museum, London, 1911 , p.I,V-LVII.

الدينار الأوبولي – Obli- أقل هذه العملات قيمة في هذه الدائرة النقدية الجديدة ، ولكنها كانت متناسبة مع عصر انحصرت الغالبية العظمي من صفاته في بيوع قليلة بالقطاعي [١] .

وعانت الدويلات في العصور الوسطي الباكرة كثيرا للحفاظ علي مستوي الوزن لهذه العملات وحمايتها من الخلط بمعادن خسيسة ورديئة . ولقد احتفظت الدولة لنفسها بالحق الأوحد لسك العملة , وعملت علي تركيزها فى عدد من دور الضرب تحت رقابتها ، وان كان أول ملك فرنجي تجرأ بسك العملة الذهبية بصورتها رغم استياء الإمبراطور البيزنطي هو الملك تيبر وقلده ملوك عصره ، وإن كانت العملة ملكية يظهر عليها اسم الملك لا اسم الضارب ، وحاول الملوك قدر استطاعتهم علي الحفاظ علي وزن وقيمة العملة ليثق الشعب فيهم ، وكانت لا تسك إلا في دور سك العملة الرسمية خوفا من الغش وتحت رقابة الدولة ، وحددت الدولة عدد الدور التي يتم فيها سك العملة , ولقد وقع عقاب صارم وجزاءات كثيرة قاسية علي المزيفين للعملة وأيضا علي الذين رفضوا التعامل بالعملات التي حددتها الدولة ، علاوة علي ذلك فإن دائرة التعامل النقدي كانت محدودة للغاية ، ولقد جاء احتياطي المعدن الذي تسبك منه العملة من العملات القديمة ذات الكسور البسيطة ، التي يرجع تاريخ سكانها إلي العصر الروماني والميرفنجي[٢] .

أما الأنجلو- سكسون فقد ضربوا أول عملة لهم علي طراز العملات الرومانية والفضية وليست الميروفنجية ، وحدث ذلك في كل من لندن وكانتربري وغيرهما من مدن وسط وجنوب إنجلترا ، ومع مرور الزمن تحولت تلك العملات الفضية إلى نحاسية في بعض الممالك مثلما حدث في نورثمبريا . وكان أسما الملك وضارب العملة ينقشان عليها ، أما عملات جنوب إنجلترا فكانت فضية ونادرا ما نقش عليها اسم الملك واسم الضارب ، مثال عملة مملكة مرسيا التي سكها الملك بندا وولده إيزلريد خليفته الثالث من بعده (٦٧٤-٧٠٤م) وكذلك تداولت إنجلترا الأنجلو- سكسونية عملة أقل حجما من الفضة عرفت باسم البنس –Penny-

---

[١] - هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ١٠٦-١٠٧.

- Prou M., les Monnaies Carolingienne , Paris , 1896, p.XlIV.

[٢] - مع نهاية العصر الميروفنجي توقف سك العملة الذهبية في غرب أوربا إلي حد كبير ، ولقد جاء ذلك تزامنا مع خراب تجارة البحر المتوسط ، وذلك لأن التجارة في الشرق استنزفت ذهب الغرب , إذا لم يكن لديها بضائع تبيعها له ، ومن ثم فإن العملة الفضية هي العملة التي كان يتم التعامل بها . ولقد دعت الندرة إلى دفع الديون في تلك الفترة عينيا وليس نقدا ، حيث كانت تدفع مع الحيوانات بعد تقدير أثمانها . انظر في ذلك :

- هنري بيرين : المرجع السابق ، صـ١٠٧-١٠٨.

- Dopsh M., Naturalwixrtshaft in des Weltgeschichte,Vienna , 1930 , p.87.

والمعروف أن كلمة بنس قد استخدمت في بلاد الغال في القرن الثامن الميلادي . ومما يدل علي قوة التبادل التجاري فيما بين البلدين في عصر الميرفنجيين [١] .

وقد عثر في الحفائر التي أجريت بالبلاد الإسكندنافية علي كميات ضخمة من النقود الأنجلو-سكسونية ، وفي ذلك دلالة واضحة علي وجود العملة بكميات كبيرة ، ووجدت هذه العملات كذلك في جزيرتي اولاند وجتلاند وكذلك في السويد وغيرها من البلاد الأوربية [٢] .

وعندما وحد الملك اوفا ملك مرسيا الممالك السبع الإنجليزية ، أصدر أوامره الصارمة إلي دور سك العملة بوقف استخدام كل العملات السابقة ، وتم تطبيق هذا القرار علي كل الممالك ما عدا نورثمبريا التي لم تخضع لسلطانه إلا في السنوات الأخيرة من حكمه ، وأصدر أوامره إلى دور سك العملة بسك عملة جديدة أكثر وزنا من سابقيها وكانت غالبية النقود تحمل اسم الملك اوفا وأحيانا يوضع اسم الضارب [٣] ، وعمل الملك اوفا عن طريق دور سك العملة علي تنويع العملات الأنجلو- سكسونية . أما العملات التي سكها في أواخر عصره ، فقد كانت تختلف عن سابقيها في أنها أصبحت أكثر وزنا وأقل جمالا واختفت صورته من علي العملة، ووضع اسمه بحروف كبيرة كما لو كان يريد أن يبرز اسمه بين ملوك عصره [٤] .

وعبر بعض المؤرخين علي التغيرات التي أحدثها اوفا علي العملة ومنهم ستنتون – بقوله " أن تاريخ العملات المتداولة في إنجلترا قد بدأ في عصر الملك اوفا "[٥] .

أما عن شكل العملة الأنجلو- سكسونية في عهد الملك أوفا فالوجه عليه صورة الملك ، والظهر الصليب ، والصليب كان يوضع أحيانا بحجم كبير في وسط العملة ، وأحيانا أخري بحجم اصغر ويشير بنس وأخر عهد الملك اوفا عدم وجود الصليب وحل محله ضارب العملة المدعو بابا –Babba- أما الوجه فتم رفع صورة الملك ووضع اسمه بشكل دائري وسط العملة [٦] .

---

[١] - مصطفي الكناني : عصر أوفا ، صـ١٠٦.

- Stanton , op. cit. , p.22 ; Hobson B., Coin& Collecting , London, 1965 , p.35 ; ken J., 2000 years of British coins & Medals British Museum , p.15.

[2] - Hildebrand , Dasheidsche Zeitaler in Schweden Trade Mestorf , Hamburg , 1873 , p.184 .

[3] - Blunt C S., The Coinage of Offa , Anglo-Saxon coined , R H Molly to , F M. Stanton on His. 80the birth day, London, 1961, pp. 49-50 ; Hobson , op. cit., p.53 ; Kent , op. cit., p.15.

[4] - stenton , op. cit., pp.222-223.

[5] - stenton , op. cit., p.223.

[6] - Hobson , op. cit., p.35.

أما العملات الذهبية التي أصدرها اوفا فهي تتمثل في ذلك الدينار الذهبي الذي نقشت عليه عبارات التوحيد الإسلامية ، والتي ترجح اعتناق اوفا الإسلام . ولقد نقشت عليه اسم اوفا باللاتينية –Offa Rex- وامتاز هذا الدينار بسمات خاصة جعلته فريدا في نوعه قياسا إلى كافة العملات الصادرة في كل أنحاء الغرب الأوربي [١] .

ومهما يكن من أمر ، وبعد الدراسة المستفيضة التي قام بها المؤرخين للدينار يلاحظ جهل ضاربه باللغة العربية ، ومن ثم يتأكد لنا أن الدينار قد ضرب بدار السك الخاصة التي أنشأها الملك اوفا في إنجلترا ، يؤكد ذلك الرأي وجود العديد من الأخطاء في نقوش وكتابات الدينار العربية علي الظهر والوجه ، ونذكر بعض تلك الأخطاء فيما يلي :

أولا: أخطاء الوجه:

١) كلمة "ألـه " في السطر الأول من مركز الوجه ، نقش ضارب العملة الإنجليزي حرف "الهاء المربوطة" في شكل "دال " .
٢) أما كلمة "وحده" في السطر الثاني من مركز الوجه فقد ورد حرف "الألف" بدلا من حرف "الواو".
٣) كذلك وردت "الهاء المربوطة" في نفس الكلمة السابقة " وحده " في صورة شاذة لم ترد في أي من العملات العباسية التي ضرب اوفا ديناره علي ظهرها.
٤) أن كلمة " له" بالسطر الثالث من مركز الوجه ، يلاحظ أن حرف " الدال" قد ورد بدلا من " الهاء المربوطة".

ثانيا: أخطاء الظهر :

١) في كلمة " الله" بالسطر الثالث من مركز الظهر ، وردت "الهاء" صحيحة كما هو الحال في المسكوكات العباسية الذهبية التي ضرب الدينار علي طرازها ، بعكس حالها في كلمة " اله" حيث وردت في صورة " دال" في السطر الأول من مركز الوجه .
٢) في هامش الظهر وردت كلمة " وخمسين " خطأ فهي لا تتفق ومثيلاتها في الدنانير العباسية المشابهة الطراز ، فلقد سجل حفار قالب السك حرف "الميم " كما لو كان "سنة للباء أو الثاء أو التاء" .

ويؤكد ذلك أن الدينار قد تم ضربه في دور السك الخاصة بالملك اوفا في إنجلترا ، وبهذا يكون الدينار غير مزيف أو أقحم علي اسم الملك اوفا [٢] .

---

[1] - Blunt , op. cit., pp.50-51.

[٢] - مصطفي الكناني : عصر الملك أوفا ، صـ١٠٩-١١٠ .

- Brooke G. , I English Coins from the Seventh Century to the present day , London , 1932,p.22.

وقام الدكتور – مصطفي الكناني بدراسة دينار الملك اوفا ووضح :

أولا:- الوجه :-

هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره علي الدين كله .

مركز : لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

ثانيا:- الظهر :-

هامش :- بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وخمسين ومئة .

مركز : محمد
XER
رسول
Off

وبعد هذا التحليل نجد هناك سؤال هام يطرح نفسه وهو ، هل اعتنق الملك اوفا الإسلام ، فضرب هذا الدينار لذلك ؟

الحقيقة أن الوثائق المعاصرة لأوفا لم تشر البتة إلي هذا الدينار من قريب أو بعيد ، وبالمثل أهملت دوائر المعارف العالمية والمعاجم والمراجع المتخصصة الإشارة إليه رغم أن غالبيتها قد أشارت إلى عملات الفترة المبكرة من عصره ، ونجد أن المؤرخين المعنيين رغم إمكانية تفهمهم معاني نقوش عبارات التوحيد الإسلامية الخاصة بالدينار بطريقة أو بأخرى ، فإننا نجدهم من ناحية أخري قد تغاضوا كلية عن الإشارة إلى تلك العبارات باستثناء البعض منهم الذين رغم إشارتهم إلي تلك العبارات الإسلامية ، فإنهم مروا عليها مرور الكرام دون تعليق يذكر رغم خطورة مدلولاتها ، ورغم تفهم بعضهم بل وأجادته اللغة العربية قراءة وكتابة ، مما يؤكد أن الإهمال كان متعمدا من أجل طمس حقيقة اعتناق الملك اوفا الإسلام[1] .

ويذكر- ستنتون- أن سبب ضرب هذا الدينار الخاص بالملك أوفا يرجع إلي رغبة الملك في دفع المنحة والضريبة المقررة عليه سنويا للكنيسة الرومانية ، والمعروفة باسم بنس القديس بطرس – Peter's pence[2] .

وهناك رأي يقول أن الملك اوفا ضرب هذا الدينار إشباعا لحاله نفسية انتابته ، وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه ودفعته لضربه تشبهًا بالدينار الإسلامي ذي المكانة العالمية في عالم تجارة العصور الوسطي ، ثم عللت هذا

---

[1] - مصطفي الكناني : عصر اوفا ملك إنجلترا، صـ١٠٩-١١٢.

Hobson , op. cit., p.35 ; Kent , op. cit., p.15 ; Atiya , Crusade Commerce & Culture , New York , 1966 , p.169.

[2] - Stenton , op. cit., p.224.

العمل لرغبته في الظهور والشهرة والتفاخر بين أقرانه من الملوك المعاصرين ، بمقدرته علي سك مثل هذا الدينار المنقوش من أجل تقديمه إلي البابوية وفاء للمنحة المقررة عليه سنويا ، مما يتفق والرأي السابق ، ويذكر رأي أخر وأنا معه أن سبب الضرب يرجع إلي رغبة الملك أوفا في إيلام البابوية وعقابها [١] .

وكان الدينار الإسلامي له قيمته ويتصدر عرش المعاملات التجارية في العالم الوسيط ، بسبب ارتفاع وزنه ونقاء عياره قياسا بغيره من الدنانير اللاتينية المقلدة له . ورغم المحاولات التي بذلت لتقليده فالثابت أن التجار المسلمين وكذلك كبار التجار الإيطاليين رفضوا التعامل بغير الدنانير الإسلامية الأصلية المضمونة العيار والوزن لذا اضطر كافة تجار أوربا الانجلو- سكسون إلي التعامل بالدنانير الإسلامية دون غيرها، ومن ثم فلم يكن هناك داع يدعو الملك أوفا لضرب دينار ه هذا من أجل التجارة كما يقولون [٢]

المصادر والوثائق والمراجع الأجنبية

اولا:- المصادر والوثائق والمراجع الأجنبية :-

1- Arthur B M A., An Economic History of the British Isles , London , 1935
2- Anglo-Saxon Chronicle (60-B.C.A.D.1024) ed Whitlock, London ,1975.
3- Andrew Saint& Gillian Delray , The Chronicles of London , London , 1854.
4- Annals Londonienses , Chronicles of Rings of Edward I and Edward II, vole .1 (ed) W. Stubbs in Rolles series , London , 1881.
5- Anonimalle Chronicles , From 1333 to 1381, by V.H Galbraith , London 1927.
6- Antonia Fraser , the Lives of the kings & Queen of England , London , 1975 .
7- Arthur B M A. , An Economic History of the British isles , London , 1935.

[١] - مصطفي الكناني : عصر الملك أوفا ، صـ١١٤-١١٥.

- Blunt , op. cit., pp.49-51 ; Centennial publication of the American Numismatic , Society , 1958 , pp.83-88.

[٢] - مصطفي الكناني : عصر الملك اوفا ، صـ١١٩ .

- Blunt , op. cit., p.51.

8- Baker D., The later Middle Ages , 1216-1485 , London , 1968.
9- Barrow G W S. , Documents of Medieval History , Vole V, Suffolk , 1984.
10- Brail L., Documents in English History , New York , 1975.
11- Buckley A B., History of England for Beginners , London ,1916 .
12- Callcott L., Little Arthur's History of England . London , 1913.
13- Cambridge ; Medieval History 8 voles ,Cambridge , 1963.
14- Charlotie M.yonge , History de France, London , 1909.
15- Churchill W., The Birth of Britain , London , 1956.
16- Charlton, Social Life in Brittan the Conquest to the Reformation, Cambridge , 1938.
17- Colton , Medieval panoramas the English scene from Conquest to Reformation, press, 1949.
18- Colton G., Life in the Middle Ages ,Cambridge, 1926.
19- Cross A L., A History of England d Great Britain , New York , 1921.
20- Cunningham F B A., English in flounce on the United States , Cambridge , press, 1916.
21- David Knowles , The Religious orders in England and Middle Ages vol, II ,London ,1955.
22- Davis R T., Documents History of Civilization in Medieval England 1066- 1500 , London , 1926.
23- Davis H W C., Documents Europe from 800 to 1789 ,London 1930 .
24- Derry Blount & jarman & Carlisle, Great Britain from Earliest Times to the present day , press, 1962 .
25- Deity , Apolitical and Social History of England . London . 1937.
26- Elizabeth & Prescott, The British of History Documents , London , 1930.

27- Feeling K., A History of England from The Coming of the English to 1938 , London , 1948.
28- Frederick Chamberlin , The private Character of History English , London , 1930.
29- Froissart John , The Chronicle of Froissart , vole II , London , 1938 .
30- Gardiner S T., English History , B.C 55 to A D , 1886, London , 1892.
31- Godwin Smith , History of England , New York , 1949 – John Richardson , Annals London , London , 1988.
32- Gunnison P., A History of England people , vole .II, London . 1972.
33- Green J Y., History of English people , vol. II , London 1895 .
34- Green J Y., History of France , Paris . 1934 – Henry Battenson ,Documents of Christiauchwd ,London 1944.
35- Herchow , England in The Making ,vole .I ,London, 1963.
36- Hulme M E M. ,The Middle Ages , New York , 1937 .
37- Keen M., England in the later Middle Ages, London , 1973 .
37-kighoton H., Chronicles the Black Death , Y.B .Dobson , London , 1970.
38- Kenneth O M., the Oxford History of Britain , New York , 1983.
39- king E., England , 1175- 1425, New York , 1979 .
40- Kriehn G., The Social Revolt of 1381 in American Historical Review , vole ,VII 1902.
41- Lewis p S.& Martin G.F., The Recovery of France in the fifteen the Century , Macmillan , 1971 .
42- Lodge R M A., The Close of The Middle Ages 1272-1494 , period III, London , 1910.
43- Macksack M., Doomsday A search for toots of England , London ,1986

44- Michael wood, Doomsday A search for toots of England , London , 1986.
45- Michel M.& Philippe W., The popular Revolutions of the Middle Ages , London , 1973.
45-Laviss E., Histore de France 1328-1422 Paris 1911 . Lipson E., the Economic History of England the Middle Ages , vole .1, London , 1937.
1- Michell Y J & legs M R., History of English people , London , 1950.
2- Mowat R B., A New History of Great Britain , London , 1926 .
3- Oman C., History of England, vol , 1377-1485, London , 1920.
4- Oman C., History of England , Richard II and Richard III , London , 1924
5- Painter S., A History of the Middle Ages , New York , 1954.
6- Petit Details, the Feudal Monarch in France and England from tenth to thirteenth century, London , 1949.
7- Prestwich M., The Three Edwards , London , 1980.
8- Ramsay J H, Genesis of Lancaster , 2 voles, Oxford , 1913 .
9- Reveille A., le Soulevement des Travailleurs d' Angletere en 1381, Paris , 1895.
10- Robinson J H., An Introduction to the History of western Europe , London , 1962.
11- Roles Series , The Chronicles of Great Britain daring the Middle Ages, London , 1905 .
12- Stephenson , Medieval History Europe , London , 1953.
13- Stephen wood , A History of London , Macmillan , 1998.
14- Stubbs W., The Constitutional History England ,vole .II, Oxford , 1887.
15- Thompson .J W, History of the Middle Ages , 300-1500 , London , 1931

16- Tout , The History of England , 1216-1377, Vole ,III, London , 1920.
17- Tout , France and England in Middle Ages , New York , 1922.
18- Trevelyan G., England in The Age of Wycliffe, London , 1963.
19- Trevelyan G., History of England , London , 1909.
20- Vickers K. , England in The later Middle Ages, fourth Edition , London , 1926.
21- Vinogradoff , Village in England, Oxford , 1892.
22- Vicomee M., L' History de France , Paris , 1981.
23- White R J., The Horizon concise History of England , New York , 1957.
24- Wilkinson B., The peasants Revolt of 1381, speculum. XV , 1940 , pp. 12-35.
25- Williamson J A., A short History of British Expansion , London , 1930
26- William Ashley, The Economic Organization of England , London , 1933.
27- William Hunt & Poole M A., The political History of England ,Vole II , New York , 1920.
28- Winn , Wycliffe, London , 1929.
29- Wood ward, History of England , London , 1947.

ثانيا:- المراجع العربية والمعربة :-

١- أدمون ديمولان : سر تقدم الأنجلو سكسون ، ترجمة فتحي زغلول ، مكتبة الرحمانية ، (القاهرة – ١٩٥٨م).
٢- اسامه ابراهيم حسيب: انجلترا تحت حكم النورمان، المكتب العربي للمعارف، ٢٠٠٧م.
٣- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار ، القسم الأول ، جـ٢ ، ط١ ، (القاهرة – ١٩٢٣م).
٤- أ. ل فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ، ترجمة محمد مصطفي والسيد الباز العريني وإبراهيم العدوي ، القسم الثاني ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٥١م).
٥- ج.ج. كولتون : عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، ط٢ ، دار المعارف ، (الإسكندرية – ١٩٦٤م).

٦- جورج زيدان : تاريخ إنجلترا ، ط١ ، مطبعة الهلال بالفجالة ، (القاهرة ١٨٩٩م) .
٧- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ انجلترا في العصور الوسطي، الأسكندرية،١٩٨٢م.
٨- سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطي ، التاريخ السياسي ، جـ١ ، ط ٨ ، الأنجلو المصرية، (القاهرة – ١٩٨٣م) .
٩- س. ورن. هسلر: أوربا في العصور الوسطي ، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٨م.
١٠- ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ترجمة احمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م.
١١- محمد محمد مرسي الشيخ: الممالك الجرمانية في أوربا العصور الوسطي، الإسكندرية ، ١٩٧٥م.
١٢- مصطفي الكناني: الغزو الجرماني البريطانية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٢م.
١٣- موريس كين : حضارة أوربا في العصور الوسطي ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث ، ط١ ، (القاهرة – ١٩٩٤م).
١٤- نظير حسان سعداوي : تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطي ، دار النهضة العربية ، (القاهرة – ١٩٥٨م).
١٥- نورمان .ف. كانتور : التاريخ الوسيط ، قصة حضارة البداية والنهاية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القسم الثاني ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٨٦م) .
١٦- هنري بيرين : تاريخ أوروبا في العصور الوسطي (الحياة الاقتصادية – والاجتماعية) ، ترجمة د. عطية القوصي ، النهضة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -١٩٩٦م).
١٧- ه. سانت موس: ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨م.
١٨- يوهان هويذنجا : اضمحلال العصور الوسطي ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الآلف الثاني رقم ٣٠٥ ، ط٢ ، (القاهرة -١٩٩٨م).